خطاب العتبات

في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعزالدين جلاوجي

د. محرزية عوادي
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر2

الملخص:

أصبحت العتبات، هذا المفهوم الذي أرسى، جيرار جنيت، دعائمه يحتل، اليوم، مكانة لا يمكن إغفالها في الدراسات الأدبية الحديثة والنقد المعاصر. يقترح هذا البحث دراسة العتبات في رواية "الرماد الذي غسل الماء" للروائي الجزائري عز الدين جلاوجي. إذ شكل العنوان العام والتصديرات والإهداءات والحواشي مدخلا مهما لقراءة النص وإضاءته.

الكلمات المفتاحية: العتبات النصية/ التصديرات/الإهداءات/الحواشي/ تحليل/ تأويل

Résumé :

L'étude des paratextes, cette notion définie principalement par le critique Gérard Genette, occupe, de nos jours, une place incontournable dans les études littéraires modernes et la critique nouvelle. Cet article propose d'étudier les paratextes dans l'œuvre romanesque de l'écrivain algérien Azzedine Djlaoudji intitulé « Al ramad alladhi guassala alma » le titre général, les épigraphes, les dédicaces, les notes de bas de page ou références, dont la fonction consiste à illuminer ce texte littéraire et assurer sa réception.

Mots clés : discours/ paratexte/ épigraphes/ dédicaces/ notes de bas de page.

The paratexts :

The study of paratexts, this notion defined, mainly, by the french critic "Gérarad Genette ", has an interesting part in modern literature studies and new criticism.

The present article suggests to study paratexts in the novel of algerian author "Azzeddine Djelawdji" intitled : " Arramad allathi ghassala almaa, precisedly : the novel's title, the borrowings, the dedications, the fringe's notes which took part in the enlightment and the reading of this literary text.

Keywords :*Paratexts, title, borrowings, dedications, fringe's notes.

لم تعد "العتبات النصية" في الرواية المعاصرة مجرد حلية تؤدي دورا جماليا، فحسب، بل أصبحت جزءا حيويا من النص الروائي تفتح الطريق أمام القارئ، تزيح عنه اللبس، وما قد يُشكِل عليه داخل العالم الروائي؛ فتزوده بإشارات تمكنه من التطلع إلى الدلالة العامة. فنشأت بين المتن و"العتبات النصية" أو "النصوص الموازية" أو الملحقات النصية" (العنوان، العناوين الداخلية، اسم الكاتب، الإشارة التجنيسية، التصديرات، الحواشي، الرسوم، الإهداءات، الحوارات...) علاقة جدلية مرجعية نتيجة تفاعلها وتآلفها مع النص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ترسم ملامحه وتسبر أغواره وتفسره، مضيئة ما كان عصيا على فهم المتلقي. لذلك أولت لها الدراسات والأبحاث السردية، في السنوات الأخيرة، اهتماما خاصا.

"الرماد الذي غسل الماء"([1]) للمبدع الجزائري عز الدين جلاوجي رواية تنزع إلى التجريب والتجديد تراوح بين الواقعي والعجيب، وسمها صاحبها على ظهر الغلاف بالرواية، ووصفتها الساردة، في مفتتحها، بالحكاية العجيبة ضمن رسالة موجهة إلى حبيب مفقود([2]) ووسمها صاحبها في الحاشية الأخيرة من السفر الرابع بالقصة. يبدأ السرد بحدث عادي Fait divers يمكن أن يقع في أي وقت وأي مكان، جريمة قتل وقعت بمدينة (عين الرماد) واختفاء الجثة التي عثر عليها كريم السامعي في طريق الغابة حينما كان عائدا إلى بيته ليلا. ومن خلال الفرضيات المتعددة لتفسير دواعي ارتكاب الجريمة وأسباب اختفاء الجثة أو هروبها كما يقول الحكي، يُنسج النص وتتواتر الأحداث من واقع الحياة بكل دقائقها وتفصيلاتها في هذا المكان.

ولئن بدت الرواية قريبة من الرواية البوليسية باحتكامها على عنصري التحقيق والتشويق اللذين شكلا بؤرة مركزية تحلق حولها حشد من الأحداث والأفعال المتتابعة تأتي كلها لتضيء الواقع المتردي الذي يحياه سكان مدينة (عين الرماد) فتكشف التناقضات التي تعتمل في صلبه وتعريه بطرق مختلفة؛ فالرواية في غورها، تستنطق واقع الإنسان الجزائري، في مرحلة محددة من تاريخه الحديث، راصدة أفقه المسدود في مدينة عقيمة، مصورة مدى البؤس الاجتماعي الذي كان يصارعه شبابها بسبب انتحار أحلامهم على أرض الواقع، وعجزهم عن تحقيق طموحاتهم، فيلتحم الواقعي بالخيالي لتعرية ما يكتنف الواقع من مشاكل وأزمات ومحن، كاستغلال النفوذ، وتهاوي قيم العدالة، وانتهاك كرامة الإنسان، وممارسة السلطة، وسيطرة المادة على حياة بعض الناس، في مقابل الحلم بالحق والخير والجمال والعدالة الاجتماعية التي لا تتحقق في هذه المدينة، فيغمرها الطوفان في نهاية المطاف.

تمتد الرواية على ثلاثمائة وثمان وتسعين صفحة من الحجم الصغير تشكل بناؤها الفني من فصول أو أجزاء أربعة سماها المؤلف أسفارا، يضم كل سِفر أجزاء مرقمة متفاوتة الطول؛ ومعنى الأسفار الكتب الكبار وواحدها سِفر. ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ((مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا))([3]) أعلمَ الله تعالى أن اليهود مَثَّلُهم في تركهم استعمال التوراة وما فيها كمثل الحمار يُحمل عليه الكتب وهو لا يعرف ما فيها ولا يعيها.([4])

لم تحمل أسفار (الرماد الذي غسل الماء) عناوين، لكن الكاتب عمد إلى ترقيمها فجاءت كما يلي:

السّفر الأول: ضم أربعة وعشرين جزءا وستا وثلاثين حاشية.

السّفر الثاني: ضم أربعة وعشرين جزءا وثلاثين حاشية.

السّفر الثالث: ضم خمسة عشر جزءا وأربع عشرة حاشية.

السّفر الأخير: ضم ثلاثة أجزاء وحاشيتين.

---

[1] عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، ط1، دار المتون للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر،2005.

[2] - الرواية، ص 11.

[3] - سورة الجمعة، الآية: 5.

[4] - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب المحيط، مادة سفر، مج2، (د.ط)، دار لسان العرب، بيروت: (د.ت)، ص155.

العنوان والتصديرات:

العنوان: العنوان عنصر ضروري في العمل الأدبي لإثبات وجوده المادي من حيث التداول والتبادل إنتاجا وتقبلا. وازدادت أهميته مع الشكلانيين والبنيويين باعتباره نصا صغيرا يؤدي وظائف شكلية وجمالية ودلالية تعد مدخلا لنص كبير، كثيرا ما يشبهونه بـ"الجسد رأسه هو العنوان". فهو أحد أهم المفاتيح الأولية والأساسية في ((سبر أغوار النص والتعمق في شعابه والسفر في دهاليزه كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه وتبرز مقروئيته وتتكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة.))([5]) يعرفه الباحث والناقد الهولندي ليو.ه. هوك، Léo Huib Hoek* بأنه ((مجموعة العلامات اللسانية... التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحدده، وتدل على محتواه العام، وتغري الجمهور المقصود بقراءته.))([6]) فيصبح العنوان عتبة بداية باعتباره بناء يتصدر واجهة النص ذا طبيعة مرجعية للنص كما أن النص يحيل إليه، حاملا لدلالات سطحية وأخرى عميقة، ظاهرة ومضمرة تربطه بالمتن أو "النص الأم" جسور يتحكم فيها الكاتب قربا وبعدا لغواية المتلقي وحثه على عملية القراءة. لذلك احتفى به الدارسون المعاصرون، خاصة، لعلاقته الوثيقة بالنص الذي يوسم به. فبين العنوان والمتن علاقة تكاملية متبادلة لا تكون دائما ائتلافية، بل قد تكون انزياحية أو حتى تقابلية.([7])

يميز جيرار جينيت Gérard Genette في كتابه (عتبات) Seuils بين نمطين من العناوين: "العنوان الغرضي" Titre thématique والعنوان الريماطيقي" Titre rhématique، الأول يشير إلى مضمون النص ومحتواه، والثاني شكلي، يحدد ما عبر عنه المؤلف بهوية الكتاب ويحيل عليه من حيث شكله وعنوانه ونوعه الأدبي وجنس الخطاب الذي يحمله.([8])

ورد عنوان رواية "الرماد الذي غسل الماء" جملة اسمية مبتدؤها (الرماد) وخبرها جملة (الذي غسل الماء) ندرك، منذ القراءة الأولى، أن هذا التركيب اللغوي يربك القارئ ويثير حيرته، ويستدعي منه شيئا من التأمل والتدبر بسبب التلاعب باللغة. وبقدر ما يشير المركب الإسنادي إلى الثبات والسكون فإن الدلالة لا تتضح إلا بالتأويل ما يدرج عنوان الرواية ضمن العناوين الغرضية الإيحائية التي أشار إليها جينيت في كتابه، والتي تستعيض عن وضوح المعنى بالرمز والإشارة.

فـ"الرماد الذي غسل الماء" يجسد ثنائية بؤرتها التقابل بين عنصري الرماد والماء، أو الموت والحياة. ذلك أن كلمة "الرماد" تحيل إلى معان منها: ما تخلف من احتراق المواد، ومنه قوله تعالى((مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف))([9]) ويقال "أنت تنفخ في رماد" أي تضيع وقتك فيما لا فائدة فيه؛ ومنه "ذرّ الرماد في العيون" أي ضلّل وموّه الأمور؛ ولعل الكاتب استند إلى هذه العبارة في تسمية المدينة التي تدور فيها الأحداث بـ(عين الرماد.)

أما كلمة "الماء" وجمعها أمواه ومياه، فهي سائل عليه تقوم الحياة في الأرض، لقول الله تعالى: ((وجعلنا من الماء كل شيء حيّ))([10]) وهو في نقائه شفاف لا لون له ولا رائحة ولا طعم. ومن وظائفه إلى جانب الارتواء والري،

---

[5] - جميل حمداوي، شعرية النص الموازي، دار النشر والمعرفة، الرباط، 2014، ص 66.

[6] - أشرف حسن عبد الرحمن، إشكالية الرواية التاريخية في" أبو الهول معبد الأسرار" لمحمد عبد الحافظ ناصف نموذجا، مجلة الرواية قضايا وآفاق، مجلة فصلية، ع11، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 2013، ص 162.

* - ليو هويب هويك، باحث وناقد هولندي، أحد أبرز مؤسسي (علم العنوان) الحديث، بكتابيه : Pour une sémiotique du titre (1973) و La marque du titre (1981).

[7] - توفيق قريرة، كيف أشرح النص الأدبي، ط1، سلسلة المنهج أولا، قرطاج 2000، تونس: 1996، ص 13.

[8]-Gérard Genette, Seuils, Editions du seuil, Paris: 1987, p85.

[9] - سورة الأعراف، الآية 34.

[10] - سورة الأنبياء، الآية 30.

الغسل والمحو والتطهير؛ فكيف لعنصر يحمل دلالات الاندثار والزوال والموت أن يصير فاعلا، ينظف ويطهر وينقي عنصرا مفعما بالحياة بل هو الحياة ذاتها؟ ومن هنا يكون عنوان الرواية حاملا إلى متاهات النص ومجهولها يغري بالرحيل إلى عوالمه.

التصديرات في "الرماد الذي غسل الماء: تعتبر التصديرات من العتبات المهمة في النص الروائي. يعرف جينيت التصدير بأنه "شاهد" Citation يأتي عادة في صدر الكتاب، وهو ((اقتباس يتموضع عامة على رأس الكتاب أو في جزء منه))([11]) وكثيرا ما يرد في الصفحة الواردة بعد الإهداء مباشرة أو في مطلع كل فصل من فصوله. وهي عبارات أو جمل تسبق المتن الروائي توضح القصد العام منه وتلخص فكرة المؤلف، توضع، في الغالب، بين ظفرين أو مزدوجتين باعتبارها اقتباسا أو استشهادا أو تضمينا خارجا عن سياق المتن لكنها تأتي لتقويته، فهي تؤدي دورا جماليا ودلاليا وتعتبر عنصرا من عناصر البناء الروائي.

صيغ التصدير في رواية "الرماد الذي غسل الماء"

تطالعنا الرواية بتصديرين، أولاها في الصفحة ما بعد الغلاف مباشرة باقتباس قرآني من الآية الخامسة والأربعين من سورة الحج في قوله تعالى: ((فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد)) وهو اختيار متعمد من صاحب النص لا يخلو من دلالة، حاملا لإشارات تروم شرح المقول النصي. والرابط بين النصين الطوفان الذي أغرق مدينة (عين الرماد) وجعلها أثرا بعد عين؛ وهو مآل أمم كثيرة غابرة تفشى فيها الظلم والطغيان ذكرها القرآن الكريم، فآلت إلى مصيرها المحتوم. فالتصدير لا يأتي ليؤثث بقدر ما يكشف ويؤشر على محتوى المتن الروائي.

وفي ذات الصفحة يأتي تصدير ثان ((إنكم لا ترونهم كبارا إلا لأنكم ساجدون)) مقتبس من مقولة مشهورة للرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن((انهضوا أيها العبيد إنكم لا ترونهم كبارا إلا لأنكم ساجدون)) والتصدير هنا يؤشر محتوى الرواية ويضيء بعض جوانبها ويكشف المعنى الخفي، فهو بوابة لقراءة المتن ومعبر عن سياق إنتاجه ومنابته. ذلك أن التصدير ليس مجرد حلية نصية إنما تحكمه خلفية تسنده مرجعيات المؤلف والايديولوجيا التي يقدمها الخطاب. فالنص يوجه القراء نحو شعار رؤية الناس على حقيقتهم، وتوعيتهم بأن هؤلاء الذين قد ترونهم كبارا ليسوا لأنهم فعلا كبارا، بل لأن الرؤية قد تلتبس حينما نرى الناس من خلال غشاوة على العينين. فلو رفعنا العصائب لرأيناهم على حقيقتهم بحجمهم الواقعي والحقيقي. وهو يدعو كما دعا الشاعر العربي المتنبي، منذ زمن بعيد، إلى أن لا نستصغر أنفسنا، وأن لا نستهين بها وكأنه يعيد مقولته الشهيرة. إن قيمة التصدير لا تكمن فقط في كونه عتبة لا مفر منها، ولا إلى أنه إشارة تتحدد بواسطتها طريقة ولوج المتن، ولكن أيضا إلى أهمية هذه الإحالات أو المرجعيات والمعاناة التي عاشتها والقيم التي دافعت عنها.

الإهداء: الإهداء خطاب يتميز بشكله ومحتواه ومقصده. وهو أحد عناصر المناص التي درسها جيرار جنيت في "عتباته" وحدد وظائفه وأشكاله، واعتبره تقديرا من الكاتب وعرفانا بجميله للآخرين على صنيعهم معه سواء أكانوا أشخاصا حقيقيين أو اعتباريين. وهو تقليد قديم قدم التأليف والكتابة أرجعها جنيت إلى زمن الإمبراطورية القديمة، شبيه بـ"التقريظ" الذي كان معمولا به في هذه الكتابات كالإهداءات السلطانية، والإخوانية، والتي كثيرا ما تأتي في مستهل العمل الإبداعي، أو في بداية الكتاب. لذا يحتل مكانة المقدمة والتصدير، ويقوم بنفس الوظائف، وهو، بذلك، ((عتبة نصية قصديه مساعدة على نسج ميثاق تواصلي بين الأنا المرسلة والغير المتلقي))([12]) ويأتي في شكل ((كتابة رقيقة

[11]- Gérard Genette, Seuils ,p 147.

[12] - جميل حمداوي، عتبة الإهداء، www.diwanalarab.com

نثرية أو شاعرية تقريرية أو إيحائية توجه إلى المهدى إليه الذي قد يكون فردا معروفا أو مجهولا أو جماعة معينة أو مجهولة))[13] وبذلك فهو((تقليد ثقافي ينم، بلا شك، عن لباقة أخلاقية، إن لم تكن واجبة، فهي، على الأقل، مستحبة))[14] فالإهداء عتبة نصية مهمة وضرورية في قراءة النص الروائي، خاصة، فكيف جاءت إهداءت (الرماد الذي غسل الماء)؟ وما الصيغ التي وردت بها ؟ وما دلالاتها؟

ثمة مجموعة من العلاقات تربط الإهداء بالمتن السردي داخلية أو خارجية أو موازية أو نصية؛ فأحيانا لا يتم فهم النص إلا من خلال استكشاف الإهداء والإحاطة به بما يسهم في إضاءته لأنه، في الغالب، لا يخلو من قصدية. وينقسم الإهداء إلى إهداء عام وإهداء خاص، وقد وقفنا على كليهما في (الرماد الذي غسل الماء)

الإهداء العام: جاء في شكل أسطر شعرية توجه بها المؤلف للإنسانية برمتها، بلغة شعرية حاملة لإيقاع موسيقي متناغم من خلال السجع والمقابلات وتنوع القوافي، فجمع بذلك بين الواقعي والرمزي والتراثي. فهو إيقاع قائم على ثنائيات متضادة موت# حياة، حزن# فرح، حب# كره.. معبرا عن مدى الاغتراب الذي يعيشه الكاتب،وقلق الهوية والصراع بين الأنا والآخر، داعيا، في ذات الوقت، إلى عالم أفضل يعج بقيم الحرية والعدالة والإخاء.

يا بشراه...
يذبحنا التتار البيض كل مساء
فتجري منا الأرض دموعا ودماء
من بحرنا حتى سيناء
غير أنا كل صباح
نبعث أنبياء...
نزرع الأرض زهرا
نضمخها عطرا وإخاء([15])

الإهداء الخاص: أما الإهداء الثاني فكان أكثر خصوصية؛ وفي الإهداء الخاص يتوجه الكاتب، غالبا، إلى أشخاص مقربين منه، كأفراد عائلته أو أصدقائه مثلا. وقد طالعنا جلاوجي بإهداء خاص إلى أبناء فلسطين وأبناء العراق الصامدين أمام تحديات الزمن. ويتشكل الإيقاع من خلال جملة من المتضادات أصبحت سمة أسلوبية في كتابات جلاوجي.

إلى الأشجار التي وقفت بكبرياء في جنين والفلوجة متحدية
زوابع أعداء الإنسانية
لا طريق للكرامة إلا التضحية
ولا انتصار إلا للخير والحق والجمال
ولا منابر للخفافيش إلا الكهوف المظلمة.([16])

---

[13] - المرجع السابق.

[14] - نفسه.

[15] - عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، ص 8.

[16] - الرواية، ص 8

من بين العتبات المهمة في هذا النص التجريبي رسالة غرامية موجهة إلى حبيب غائب، سبقت المتن السردي تروي عبرها الساردة، بضمير المتكلم، وبلغة شاعرية عميقة، وقع جريمة القتل الشنعاء التي اهتزت لها المدينة ((...همّ واحد ما زال يلح علي حتى غدا كابوسا مرعبا.. هو أن أنقل إليك حكاية المدينة بعد أن غادرتها.. وهي حكاية عجيبة لا تحتاج للسرد فحسب.. ولكنها تحتاج للتأمل أيضا.. فما رأيت أغرب منها ولا أعجب.. فمنذ أن هزت جريمة القتل الشنعاء فرائص عين الرماد والناس لا حديث يتجاذبون أطرافه إلا عنها.))[17] والرسالة بمثابة خطاب مقدماتي أو توطئة أو افتتاحية في الكتابة الأدبية وغير الأدبية، تسهم في((تأمين قراءة جيدة للنص)) كما يقول جيرار جنيت في عتباته.

عتبة الحواشي: لقد مس التجريب هيكل هذا النص الإبداعي فوسمته تقنية الحواشي؛ والحاشية حسب جنيت ملفوظ متغير الطول مرتبط بمقطع نصي محدد بشكل تقريبي، موضوع في خدمة هذا المقطع، سواء أكان مقابلا له، أو محيلا عليه.([18]) والحاشية بهذا المعنى ترتبط بمقطع نصي معين ضمن النص الأصلي، تفسره وتشرحه أو توثقه أو تحيل عليه. وغالبا ما تُلحق الهوامش بالنص الروائي في آخر الصفحة تهميشا وتذييلا لإضاءة المتن وتفسيره وفك ما استعصى من دلالاته أو لغته أو التواريخ المتضمنة فيه أو غيرها، وهي بذلك تشكل نصا موازيا يسيج النص الأصلي ويحيط به يأخذ وجوده من وجود الأصل وتكون العلاقة بينهما إشعاعية توضيحية وتفسيرية.

لم تأت الحواشي في (الرماد الذي غسل الماء) في الهامش النصي أي في ذيل الصفحة، بل إنها منخرطة في المتن السردي حتى كادت أن تغطي عليه، وتوزعت على كل الأسفار بصورة ملفتة مخترقة لها، متخللة الأجزاء تارة، متتابعة تارة أخرى، قاطعة لمسار السرد. وقد بلغ عددها تسعين حاشية متفاوتة الطول.

وتؤدي هذه الحواشي وظيفة إخبارية، فهي أداة واصفة ومساعدة لفهم ما جاء غامضا أو مختزلا في النص لكثافة اللغة الروائية أحيانا، أو لكشف حيثيات أهملها السارد، أو لتعليل بعض الأحداث. كما أنها جاءت للتعريف بشخصيات هذا العالم الحكائي الواقعي، تارة، والعجيب، تارة أخرى ((كان سمير واسطة العقد، وكان أحب إخوته إلى أمه، طويل القامة، أسمر اللون، في ملامحه ملاحة ووسامة ، وفي عينه دعج محبب، وهو أقرب شكلا إلى أخواله...))[19] وتفسير العلاقات التي تجمع بينها والسلوكات الصادرة عنها. بقول السارد في الحاشية 28 من السفر الأول: ((إذا أردت قضاء مآربك فعليك بعزيزة الجنرال" هكذا يردد الجميع.. وهكذا يعتقدون أيضا.. كلما ضاقت الدنيا بأحدهم هرع إليها، وهي تعرف الجميع، تمد خيوطها السحرية فإذا الحق باطل والباطل حق، وقد سماها الناس الجنرال لقوتها ولعلاقتها بالجنرال صاحب ملهى الحمراء...))[20] وقد تتبادل الحاشية الموقع مع السرد فتقوم مقامه ((كان الليل بهيما.. يغط في ربعه الأخير.. وكان الجميع قد اندسوا داخل قوقعاتهم كحلازين بليدة.. وحده الخبطة كان يذرع الأزقة وقد اشتد سعاره، يتمرغ على الأرض كبهيمة أصابها الجرب...))[21] وبهذا لا تكون الحاشية خارجة عن المتن بل هي تكملة له وسد لثغرة وردت فيه.

---

[17] - الرواية، ص 11.

[18]-Gérard Genette, seuils, op.cit.p 321.

[19] - عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، ص49.

[20] - عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، ص 112.

[21] - الرواية، ص 120.

كما استعان بها الروائي لوصف الفضاءات المختلفة التي تدور فيها الأحداث الروائية، والأماكن المتنوعة وأثرها على الشخصية، نقرأ في الحاشية الأولى من السفر الأول: ((يقع ملهى الحمراء في جوف الغابة، تحضنه أشجار الصنوبر والفلين من كل حدب وصوب كقلب محاط بالأضلاع.. كان زمن الاستعمار بيتا لحاكم المدينة.. وصار بعد الاستقلال مركزا لبحوث الزراعة.. وتنازلت عنه الدولة لجنرال متقاعد ليحوله إلى ملهى يؤمه كبراء القوم وساداتهم، ولا يدري الناس لماذا سماه هذا الجنرال ملهى الحمراء...))([22]) أو((وحين تخرج من مدينة عين الرماد جنوبا تنهض غابة الصنوبر في وجهك، تدثر ضفتي الجبلين الصغيرين ثم ما تفتأ أن تبدأ في الانطفاء رويدا رويدا فاسحة المجال لفضاء يتنفس بعمق...))([23])

بالإضافة إلى أنها حيز لتدخلات الروائي وتعريف القارئ بمواقفه ورؤيته التي يحرص على توضيحها، وهي أيضا مجال لإظهار ثقافته ومرجعياته المتنوعة؛ فكانت بذلك عنصرا مهما في دلالة الخطاب الروائي وتقريبه للقارئ بإضاءة ما يمكن أن يكون معتما في النص، ووجهت القارئ إلى مغاليق عالمه الروائي.

إن هذا التوظيف مرده رغبة ملحة من الكاتب في خوض غمار التجريب بتحطيم خطية السرد المألوفة وقطع استمرارية الحكي ما يفسر تواتر الحواشي في الرواية قاطعة بذلك اطراد نسيجها السردي.. وظاهرة الحواشي أو الهوامش قديمة عرفتها كل الخطابات، وقد ارتبطت بالكتابة التراثية وبنية التأليف عند العرب، مخطوطا ومطبوعا، من خلال عمليات الشرح والتفسير والتذييل التي حفلت بها المصنفات القديمة. ((فقد كان القدماء يكتبون حول حياة شاعر وينقدون كتبه ويدرجون ديوانه في الكتاب نفسه وفي ذات الكِتاب يشرحون ويحللون الأبيات الشعرية.))([24])

ولعل الكاتب أراد أن يستفيد من هذه التقنية التي شاعت في الأعمال الروائية الجديدة، وابتعدت عن كتابة سردية كلاسيكية خالية من المعطى الذهني والثقافي واستبدالها بكتابة موثقة موضوعية وتخييلية مليئة بالإحالات المرجعية والمصطلحات التقنية والمعارف لكنها، أيضا،((تروم تقويض مركزية الكتابة في منطقها الغربي ونقض أسسها المعرفية في سعي لزحزحة كل هيمنة ممكنة وردّ الاعتبار بالتالي للهوامش المغيبة لكي نسمع صوتها.))([25]) وهي، ربما، محاولة لتأصيل الرواية وتجذيرها ضمن بنيتها الثقافية العربية. فمعروف عن هذا الروائي ثراء نصوصه بعناصر التراث ما يدل على وعيه بأهمية توظيف المنجز التراثي بزخمه المتعدد لإغناء التجربة الروائية، كما يؤكد هذا الأمر ثقافة الكاتب الواسعة واطلاعه على الموروث الشعبي المحلي والإنساني عموما. ثم إن الخطاب الذي يقوم على مثل هذه التوظيفات من شأنه تقوية المكتوب وإثرائه فنيا وفكريا وجماليا.

تعبر رواية "الرماد الذي غسل الماء" عن نضج فني مرتكز على التجريب واستغلال تقنيات سردية مراوغة ميزت كتابات جلاوجي، عموما، ووضعتنا مقاربة العتبات النصية، من عنوان عام وتصديرات وهوامش، باعتبارها مدخلا ضروريا لقراءة النص الإبداعي، على درب التأويل لاستيعاب المتن والإحاطة بدواخله، فكانت العلاقة بين النصين الموازي والرئيسي مرجعية مساعدة في إضاءته وإيضاح ما استعصى منه.

---

[22] - الرواية، ص 17-18.

[23] - الرواية، ص 53.

[24] -أحمد فرشوخ، قراءة في رواية (الرماد الذي غسل الماء)، لعز الدين جلاوجي،www.diwanalarab.com

[25] - أحمد فرشوخ، قراءة في رواية الرماد الذي غسل الماء لعز الدين جلالوجي،.www.diwanalarab.com

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

المصدر

- عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، ط1، دار المتون للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر،2005.

المراجع:

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب المحيط، مادة سفر، مج2، (د.ط)، دار لسان العرب، بيروت: (د.ت).
-أحمد فرشوخ، قراءة في رواية (الرماد الذي غسل الماء)، لعز الدين جلاوجي،http://www.diwanalarab.com
- أشرف حسن عبد الرحمن، إشكالية الرواية التاريخية في" أبو الهول معبد الأسرار" لمحمد عبد الحافظ ناصف نموذجا، مجلة الرواية قضايا وآفاق، مجلة فصلية، ع11، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 2013.
- توفيق قريرة، كيف أشرح النص الأدبي، ط1، سلسلة المنهج أولا، قرطاج 2000، تونس: 1996.
- جميل حمداوي، شعرية النص الموازي، دار النشر والمعرفة، الرباط، 2014، ص 66.
- جميل حمداوي، عتبة الإهداء، http://www.diwanalarab.com.
-Gérard Genette, Seuils, Editions du seuil, Paris: 1987.